

## الفصل الرابع

قيل له : فما حقيقة هذه الحقيقة ؟ وما صفة هذا الجوهر ؟  
وما وجه تعلقه بالبدن ؟ أهو داخل فيه أو خارج منه ومتصل  
به ، أو منفصل عنه ؟؟ ..

فقال - رحمه الله - : لاهو داخل ، ولا هو خارج ، ولا  
هو متصل ، ولا هو منفصل . لأن مصحح الاتصاف  
بالاتصال والانفصال : الجسمية والتحيز ، وقد انتفى عنه ،  
فانفادت عن الضدين ، كما أن الجماد لا هو عالم ، ولا هو  
جاهل ؛ لأن مصحح العلم والجهل : الحياة ، فإذا انتفت  
انتفى الضدان .

قيل : فهل هو في جهة ؟ .

قال : هو مبرأ عن الحلول في المَحَالِّ ، والاتصال  
بالأجسام من الاختصاص بالجهات ؛ فإن كل ذلك صفات  
الأجسام وأعراضها وهو ليس بجسم ولا عرض في جسم ، بل  
هو مبرأ عن هذه العوارض .

فقيل له : لم منع الرسول ﷺ من إفشاء هذا السر ،  
وكشف حقيقة الروح ؟.

فقال - رحمه الله - : لأن الأفهام لا تحتمله ؛ لأن الناس  
قسمان : عوام وخواص . أما من غلب على طبعه العامية ،  
فهذا لا يقبله ، ولا يصدق به ، في وصفه الله - تعالى -  
فكيف يصدق به في حق روح الإنسان ؟! ولهذا أنكرت  
الكرامية والحنبلية .. ومن كانت العامية أغلب عليه ذلك ،  
وجعل الإله جسماً إذا لم يعقل موجوداً إلا متجسماً مشاراً  
إليه ، ومن ترقى عن العامية قليلاً ، نفى الجسمية وأثبت  
الجهة ، وترقى عن هذه العامية الأشعرية والمعتزلة ، فأثبتوا  
موجوداً لا في جهة ...

فقيل له : فلم لا يجوز كشف هذا السر مع هؤلاء ؟  
فقال : لأنهم أحالوا هذه الصفة لغير الله - تعالى - فإذا  
ذكرت معهم كفروك . وقالوا : إنك تصف نفسك بما هو  
صفة الإله على الخصوص ، فكأنك تدعى الإلهية لنفسك .  
فقيل له : فلم أحالوا أن تكون هذه الصفة لله - تعالى -  
ولغير الله أيضاً ؟

فقال : لأنهم قالوا : كما يستحيل في ذوات المكان أن يجتمع  
اثنان في مكان واحد ، يستحيل أن يجتمعا أيضاً في لا مكان ؛

لأنه إنما استحال اجتماع جسمين في مكان واحد ، لأنه لو اجتمعا لم يتميزا أحدهما عن الآخر . فكذلك لو وجد اثنان كل واحد ليس في مكان ، فلم يحصل التمييز والفرقان ، ولهذا أيضاً قالوا : لا يجتمع سوادان في محل واحد ، حتى قيل : المثلان يتضادان .

ف قيل له : فهذا إشكال قوى فما جوابه ؟ .

فقال : إنهم اخطأوا حيث ظنوا أن التمييز لا يحصل إلا بالمكان ، بل يحصل التمييز بثلاثة أمور :

أحدها : بالمكان لجسمين في مكانين .

والثاني : بالزمان كسوادين في جوهر واحد في زمانين .

والثالث : بالحد والحقيقة كالأعراض المختلفة في محل واحد ، مثل اللون ، والطعم ، والبرودة ، والرطوبة ، في جسم واحد . فإن المحل لها واحد ، والزمان واحد . لكن هذه مختلفة الذوات بحدودها وحقائقها ، فيتميز الطعم عن اللون بذاته ، لا بمكان وزمان ، ويتميز العلم عن الإرادة والقدرة بذاته ، وإن كان الجميع كشيء واحد ، فإذا كان يتصور أعراض مختلفة الحقائق في محل واحد ، فإن يتصور أشياء مختلفة الحقائق بذواتها في غير مكان أولى .

ف قيل : ههنا دليل آخر على إحالة ما ذكرتموه أظهر من

طلب التفرقة ، وهو أن هذا تشبيه ؛ لأنه إثبات لأخص  
وصف الله - تعالى - في حق الروح .

فقال : هيهات ، فإن قولنا : الإنسان حي ، عالم ، سميع ،  
بصير ، قادر ، متكلم . والله - تعالى - كذلك ، ليس فيه  
تشبيه ؛ لأنه ليس ذلك أخص وصف الإله ، بل أخص  
وصفه . أنه قيوم ، أى : هو قائم بذاته ، وكل ماسواه قائم  
به ، وأنه موجود بذاته لا بغيره ، وكل ماسواه موجود به لا  
بذاته ، بل ليس للأشياء من ذواتها إلا العدم ، وإنما لها الوجود  
من غيرها على سبيل العارية . والوجود لله - تعالى - ذاتي  
ليس بمستعار . وهذه الحقيقة - أعنى القيومية - ليس إلا لله  
تعالى .

قليل له : ذكرت معنى التسوية ، والنفخ ، والروح . ولم  
تذكر معنى النسبة في الروح ، وأنه لم قال : « من روحي » ؟  
ولم نسبه إلى نفسه ؟ فإن كان لأن وجوده به ، فجميع الأشياء  
كذلك ، ولم نسب البشر إلى الطين ؛ فقال : ﴿ إِنِّي خَلَقْتُ  
بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾<sup>(٦)</sup> ثم قال : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ  
رُّوحِي ﴾<sup>(٧)</sup> . وإن كان معناه أنه جزء من الله - تعالى -

٦ - سورة ص : الآية رقم ٧١ .

٧ - سورة الحجر : الآية رقم ٢٩ . وسورة ص : الآية رقم ٧٢ .

فاض على القلب كما يفيض المعطى المال على السائل فيقول :  
أفضت عليه من مالى . فهذا تجزئة لذات الله تعالى .

وقد قال : أبطلتم هذا ، وذكرتم أن إفاضته ليس بمعنى  
انفصال جزء .

فقال - رحمه الله - : هذا كقول الشمس لو نظقت به ،  
وقالت : أفضت على الشمس من نورى ، فيكون صدقا ،  
ويكون معنى النسبة : أن النور الحاصل من جنس نور  
الشمس بوجه من الوجوه ، وإن كان فى غاية الضعف  
بالإضافة إليه . وقد عرفت أن الروح منزّه عن الجهة  
والمكان ، وفى قوته العلم بجميع الأشياء والاطلاع عليها ،  
وهذه مضاهاة ومناسبة . فلذلك خصص بالإضافة ، وهذه  
المضاهاة ليست للجسمانيات أصلاً .

ف قيل له : فما معنى قوله - تعالى - : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ  
أَمْرِ رَبِّي ﴾ <sup>(٨)</sup> وما معنى عالم الأمر ، وعالم الخلق ؟ .

فقال : كل ما يقع عليه مساحة وتقدير - وهى الأجسام  
وعوارضها - يقال : إنه من عالم الخلق . والخلق ههنا بمعنى  
التقدير لا بمعنى الإيجاد والإحداث . يقال : خلق الشيء ،  
أى : قدره .. قال الشاعر :

---

٨ - سورة الإسراء : الآية رقم ٨٥ .

وبعض الخلق يخلق ثم يفري

أى : يقدر الأديم ، ثم يقطع . ومالا كمية له ، ولا تقدير . فيقال : إنه أمر ربانى . وذلك للمضاهاة التى ذكرناها . وكل مامن هذا الجنس من أرواح البشر ، وأرواح الملائكة ، يقال : إنه من عالم الأمر . فعالم الأمر عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس ، والخيال ، والجهة ، والمكان ، والتحيز . وهى مالا يدخل تحت المساحة ، والتقدير ، لانتفاء الكمية عنه .

فقليل له : أتوهم أن الروح ليس مخلوقا فهو قديم ؟

فقال : قد توهم هذا جماعة ، وهو جهل . بل نقول : الروح غير مخلوق ، يعنى أنه غير مقدر بكمية ؛ فإنه لا ينقسم ، ولا يتحيز ، لكنه مخلوق ، بمعنى أنه حادث<sup>(٩)</sup> ، وليس بقديم . وبرهان حدوثه طويل ومقدماته كثيرة . ولكن الحق : أن الأرواح البشرية حدثت عند استعداد النطفة للقبول ، كما حدثت الصورة فى المرآة بحدوث الصقالة . وإن كان ذو الصورة سابق الوجود على الصقالة .

---

( ٩ ) يقول ابن القيم فى المسألة السابعة عشرة

وهى : هل الروح قديمة أو محدثة مخلوقة ؟ من كتابه ( الروح ) :

وإذا كانت محدثة مخلوقة وهى من أمر الله فكيف يكون أمر الله محدثاً مخلوقاً ؟ وقد أخبر -

سبحانه - أنه نفخ في آدم من روحه ، فهذه الإضافة إليه هل تدل على أنها قديمة أم لا ؟ وما حقيقة هذه الإضافة ؟ فقد أخبر عن آدم أنه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه فأضاف اليد والروح إليه إضافة واحدة .

فهذه مسألة زل فيها عالم ، وضل فيها طوائف من بنى آدم . وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين ، والصواب المستبين ، فأجمعت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مذبذبة . هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث ، وأن معاد الأبدان واقع ، وأن الله وحده الخالق ، وكل ماسواه مخلوق له ، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة ، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة ، واحتج بأنها من أمر الله وأمره غير مخلوق ، وبأن الله - تعالى - أضافها إليه كما أضاف إليه علمه وكتابه وقدرته وسمعته وبصره ويده ، وتوقف آخرون فقالوا : لا نقول مخلوقة ولا غير مخلوقة .

وسئل عن ذلك حافظ أصبهان أبو عبد الله بن منده ، فقال : أما بعد فإن سائلا سألتني عن الروح التي جعلها الله - سبحانه - قوام نفس الخلق وأبدانهم ، وذكر أن أقواما تكلموا في الروح وزعموا أنها غير مخلوقة وخص بعضهم منها أرواح القدس وأنها من ذات الله ، قال : وأنا أذكر اختلاف أقاويل متقدمهم ، وأبين ما يخالف أقاويلهم من الكتاب والأثر وأقاويل الصحابة والتابعين وأهل العلم ، وأذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والأثر ، وأوضح خطأ المتكلم في الروح بغير علم ، وأن كلامهم يوافق قول جهنم وأصحابه . فنقول - وبالله التوفيق - : إن الناس اختلفوا في معرفة الأرواح ومحلها من النفس :

( فقال ) بعضهم : الأرواح كلها مخلوقة ، وهذا مذهب أهل الجماعة والأثر واحتجوا بقول النبي ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة .

( وقال ) بعضهم : الأرواح من أمر الله ، أخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ .

( وقال ) بعضهم : الأرواح نور من أنوار الله - تعالى - وحياة من حياته ، واحتجت بقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره » ثم ذكر الخلاف في الأرواح هل تموت أم لا ؟ وهل تعذب مع الأجساد في البرزخ وفي مستقرها بعد الموت ؟ وهل هي النفس أو غيرها .

( وقال ) محمد بن نصر المروزي في كتابه : تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح آدم ماتأولته النصارى في روح عيسى ، وما تأوله قوم من أن الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن ، فبعد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعاً ؛ لأن عيسى عندهم روح من الله صار في مريم ، فهو غير مخلوق عندهم .

وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض : إن روح آدم مثل ذلك ، إنه غير مخلوق ، وتأولوا قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ فزعموا أن روح آدم ليس بمخلوق ، كما تأول من قال : إن النور من الرب غير مخلوق ، قالوا : ثم صاروا بعد آدم في الوصي بعده ، ثم هو في كل نبي ووصي إلى أن صار في علي ثم في الحسن والحسين ، ثم في كل وصي وإمام فيه يعلم الإمام كل شيء ولا يحتاج أن يتعلم من أحد .

ولا خلاف بين المسلمين أن الأرواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بنى آدم كلها مخلوقة لله خلقها وأنشأها وكونها واخترعها ثم أضافها إلى نفسه ، كما أضاف إليه سائر خلقه قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة ، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو من أعلم أهل زمانه بالإجماع ولا اختلاف ، وكذلك أبو محمد بن قتيبة قال في ( كتاب اللفظ ) : لما تكلم على الروح قال : النسم : الأرواح . قال : وأجمع الناس على أن الله - تعالى - هو فالق الحية وبارئ النسمة ، أى : خالق الروح . وقال أبو إسحاق بن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة : سألت - رحمك الله - عن الروح مخلوقة هى أو غير مخلوقة ؟ قال : وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب أن الروح من الأشياء المخلوقة ، وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء والمشايخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة ، وصنف الحافظ أبو عبد الله بن منده في ذلك كتاباً كبيراً ، وقبله الإمام محمد بن نصر المروزي وغيره ، والشيخ أبو سعيد الخزاز وأبو يعقوب النهرجورى ، والقاضى أبو يعلى ، وقد نص على ذلك الأئمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم فكيف بروح غيره ؟! كما ذكره الإمام أحمد فيما كتبه في مجلسه في الرد على الزنادقة والجهمية ، ثم إن الجهمي ادعى أمراً فقال : أنا أجد آية في كتاب الله مما يدل على أن القرآن مخلوق : قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ وعيسى مخلوق ، قلنا له : إن الله تعالى منعك الفهم للقرآن ، إن عيسى تجرى عليه ألفاظ لاتجرى على القرآن لأننا نسمة مولوداً وطفلاً وصبيّاً

وغلاماً يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجرى عليه الخطاب والوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية إبراهيم فلا يحل لنا أن نقول في القرآن مانقول في عيسى ، فهل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في عيسى ؟ ولكن المعنى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن ، فكان عيسى يكن ، وليس عيسى هو كن ، ولكن كان يكن . فكن من الله قول ، وليس كن مخلوقاً ، وكذبت النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا : روح الله وكلمته إلا أن كلمته مخلوقة . وقالت النصارى : عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال : هذه الخرقه من هذا الثوب ، قلنا نحن : إن عيسى بالكلمة كان ، وليس عيسى هو الكلمة ، وإنما الكلمة قول الله - تعالى - كن . وقوله : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ يقول : من أمره كان الروح فيه كقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ السَّمَوَاتِ وَمَاءَ الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾ يقول : من أمره ، وتفسير روح الله إنما معناها بكلمة الله خلقها ، كما يقال : عبد الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، فقد صرح بأن روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الأرواح ؟! وقد أضاف الله إليه الروح الذي أرسله إلى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل على ذلك أنه قديم غير مخلوق فقال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾ فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله .

والذي يدل على خلقها وجوه :

( الوجه الأول ) : قول الله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفاته ، فإنها داخلة في مسمى اسمه ، فالله - سبحانه - هو الإله الموصوف بصفات الكمال ، فعلمه وقدرته وحياته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه ليس داخلاً في الأشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها ، فهو - سبحانه - بذاته وصفاته الخالق وماسواه مخلوق .

ومعلوم قطعاً أن الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته ، وإنما هي مصنوع من مصنوعاته ، فوقع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والإنس .

( الوجه الثاني ) : قوله تعالى لتركيا : ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكْ شَيْئاً ﴾ وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط ؛ فإن البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وإنما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح .

( الوجه الثالث ) : قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَاتَعْمَلُونَ ﴾ .

( الوجه الرابع ) : قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورنا ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ وهذا الإخبار إنما يتناول أرواحنا وأجسادنا كما يقوله الجمهور ، وإنما أن يكون واقعا على الأرواح قبل خلق الأجساد كما يقوله من يزعم ذلك ، وعلى التقدير فهو صريح في خلق الأرواح .

( الوجه الخامس ) : النصوص الدالة على أنه - سبحانه - ربنا ورب آباءنا الأولين ورب كل شيء ، وهذه الربوبية شاملة لأرواحنا وأبداننا ، فالأرواح مربوبة له مملوكة ، كما أن الأجسام كذلك وكل مربوب مملوك فهو مخلوق .

( الوجه السادس ) : أول سورة في القرآن وهي الفاتحة تدل على أن الأرواح مخلوقة من عدة أوجه :

أحدها : قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ والأرواح من جملة العالم فهو ربها .  
الثاني : قوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فالأرواح عابدة له مستعينة ، ولو كانت غير مخلوقة لكانت معبودة مستعانة بها .

الثالث : أنها فقيرة إلى هداية فاطرها وربها تسأله أن يهديها صراطه المستقيم .  
الرابع : أنها منعم عليها مرحومة ، ومغضوب عليها وضالة شقية ، وهذا شأن المربوب والمملوك ، لا شأن القديم غير المخلوق .

( الوجه السابع ) : النصوص الدالة على أن الإنسان عبد بحملته ، وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه ، بل عبودية الروح أصل وعبودية البدن تبع كما أنه تبع لها في الأحكام ، وهي التي تحركه وتستعمله وهو تبع لها في العبودية .

( الوجه الثامن ) : قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ﴾ فلو كانت روحه قديمة لكان الإنسان لم يزل شيئا مذكورا فإنه إنما هو إنسان بروحه لا ببدنه فقط كما قيل :

يا خادما الجسم كم تشقى بخدمته فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

( الوجه التاسع ) النصوص الدالة على أن الله - سبحانه - كان ولم يكن شيء غيره كما ثبت في صحيح البخارى من حديث عمران بن حصين أن أهل اليمن قالوا : يا رسول الله جئناك لنتفق في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر ، فقال : كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء - فلم يكن مع الله أرواح ولا نفوس قديمة يساوى وجودها وجوده ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، بل هو الأول وحده لا يشركه غيره في أوليته بوجه .

( الوجه العاشر ) النصوص الدالة على خلق الملائكة ، وهم أرواح مستغنية عن أجساد تقوم بها ، وهم مخلوقون قبل خلق الإنسان وروحه ، فإذا كان الملك الذى يحدث الروح فى جسد ابن آدم بنفخته مخلوقاً فكيف تكون الروح الحادثة بنفخته قديمة ؟ وهؤلاء الغالطون يظنون أن الملك يرسل إلى الجنين بروح قديمة أزلية ينفخها فيه ؛ كما يرسل الرسول بثوب إلى الإنسان يلبسه إياه ، وهذا ضلال وخطأ ، وإنما يرسل الله - سبحانه - إليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة ، فتكون النفخة هى سبب حصول الروح وحدوثها له ، كما كان الوطاء والإنزال سبب تكوين جسمه ، والغذاء سبب نموه ، فعادة الروح من نفخة الملك ، ومادة الجسم من صب الماء فى الرحم ، فهذه مادة سماوية وهذه مادة أرضية ، فمن الناس من تغلب عليه المادة السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة ، ومنهم من تغلب عليه المادة الأرضية فتصير روحه سفلية ترابية مهينة تناسب الأرواح السفلية ، فالملك أب لروحه والتراب أب لبدنه وجسمه .

( الوجه الحادى عشر ) حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - الذى فى صحيح البخارى وغيره عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » والجنود المجندة لا تكون إلا مخلوقة ، وهذا الحديث رواه عن النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أبو هريرة وعائشة أم المؤمنين وسلمان الفارسى وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعلى بن أبى طالب وعمرو بن عيسى رضى الله عنهم .

( الوجه الثانى عشر ) أن الروح توصف بالوفاة والقبض والإمساك والإرسال ، وهذا شأن المخلوق المحدث المربوب ، قال الله - تعالى - : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن فى ذلك لآيات لقوم يفتكرون ﴾ والأنفس هاهنا هى الأرواح قطعاً . وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن أبى قتادة الأنصارى عن أبيه قال : سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فى سفر ذات ليلة فقلنا : يا رسول الله لو عرست بنا ، فقال : إني أخاف أن تناموا فمن يوقظنا للصلاة ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله فعرس بالقوم فاضطجعوا واستند بلال إلى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وقد طلع جانب الشمس ، فقال : يا بلال أين ماقلت لنا ؟ فقال : والذى بعثك بالحق ما ألقيت على نومة مثلها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء » فهذه الروح المقبوضة هى النفس التى يتوفاه الله حين موتها ، وفى منامها التى يتوفاه ملك الموت ، وهى التى تتوفاه رسل الله - سبحانه - وهى التى يجلس الملك

عند رأس صاحبها ويخرجها من بدنه كرها ويكفنها بكفن من الجنة أو النار ويصعد بها إلى السماء فتصلى عليها الملائكة أو تلعبها ، وتوقف بين يدي ربها فيقضى فيها أمره ، ثم تعاد إلى الأرض فتدخل بين الميت وأكفانه فيسأل ويمتحن ويعاقب وينعم ، وهي التي تجعل في أجواف الطير الخضر تأكل وتشرب من الجنة ، وهي التي تعرض على النار غدوا وعشيا ، وهي التي تؤمن وتكفر وتطيع وتعصى ، وهي الأمارة بالسوء ، وهي اللوامة ، وهي المطمئنة إلى ربها وأمره وذكره ، وهي التي تعذب وتنعم وتسعد وتشقى وتحبس وترسل وتصح وتسقم وتلد وتأم وتخاف وتحزن ، وما ذاك إلا سمات مخلوق مُبدع ، وصفات منشأ مخترع ، وأحكام مربوط مدبر مصرف تحت مشيئة خالقه وفاطره وبارئه ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يقول عند نومه : « اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاهها ، لك مماتها ومحياها ، فإن أمسكتها فارحها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الأجساد ، قال - تعالى - : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ قيل : من قبل أن نبرأ المصيبة ، وقيل : من قبل أن نبرأ الأرض ، وقيل : من قبل أن نبرأ الأنفس وهو أولى ؛ لأنه أقرب مذكور إلى الضمير ، ولو قيل : يرجع إلى الثلاثة ، أى : من قبل أن نبرأ المصيبة والأرض والأنفس لكان أوجه .

وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة أعدل شواهد على أنها مخلوقة مربوبة مصنوعة وأن وجود ذاتها وصفاتها وأفعالها من ربها وفاطرها ، ليس لها من نفسها إلا العدم ، فهي لا تملك لنفسها ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، لا تستطيع أن تأخذ من الخير إلا ما أعطاه ، وتتقى من الشر إلا ما وقاه ، ولا تمتدئ إلى شيء من صالح دنياها وآخرها إلا بهداه ، ولا تصلح إلا بتوفيقه لها وإصلاحه إياها ، ولا تعلم إلا ما علمها ، ولا تتعدى ما أهدى لها ، فهو الذى خلقها فسواها وألهمها فجوهرها وتقواها ، فأخبر - سبحانه - أنه خالقها ومبدعها وخالق أفعالها من الفجور والتقوى ، خلافاً لمن يقول : إنها ليست مخلوقة ، ولمن يقول : إنها وإن كانت مخلوقة فليس خالقاً لأفعالها بل هي التي تخلق أفعالها ، وهما قولان لأهل الضلال والغي .

ومعلوم أنها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكألها ، وهذا من أبطل الباطل . فإن فقرها إليه - سبحانه - في وجودها وكألها وصلاحتها هو من لوازم ذاتها ليس معللاً بعلّة فإنه أمر ذاتي لها ، كما أن غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللاً بعلّة فهو - سبحانه - الغنى بالذات ، وهي الفقيرة إليه بالذات ، فلا يشاركه - سبحانه - في غناه مشارك كما لا يشاركه في قدمه وربوبيته وملكوته التام وكأله المقدس مشارك ، فشواهد الخلق والحدوث على الأرواح كشواهد على الأبدان .

وإيجاز هذا البرهان أن الأرواح لو كانت موجودة قبل الأبدان لكانت إما كثيرة ، وإما واحداً ، وباطل وحدتها وكثرتها ، فباطل وجودها . وإنما استحال وحدتها بعد التعلق بالأبدان ؛ لعلمنا ضرورة بأن مايلمه زيد يجوز أن يجله عمرو . ولو كان الجوهر العاقل منهما واحداً لاستحال اجتماع المتضادين فيه ، كما يستحيل في زيد وحده .

---

قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وهذا الخطاب بالفقر إليه للأرواح والأبدان ، ليس هو للأبدان فقط ، وهذا الغنى التام لله وحده لا يشركه فيه غيره ، وقد أرشد الله - سبحانه - عباده إلى أوضح دليل على ذلك بقوله : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ \* وَأَنْتُمْ حِينُودَ تَنْظُرُونَ \* وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ \* فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ \* تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أى : فلولا إن كنتم غير مملوكين ومقهورين ومربوبين ومجازين بأعمالكم تردون الأرواح إلى الأبدان إذا وصلت إلى هذا الموضع ، أو لاتعلمون بذلك أنها مدينة مملوكة مربوبة محاسبة مجزية بعملها . وكل ما تقدم ذكره في هذا الجواب من أحكام الروح وشأنها ومستقرها بعد الموت فهو دليل على أنها مخلوقة مربوبة مدبرة ليست بقديمة .

وهذا الأمر أوضح من أن تساق الأدلة عليه ، ولولا ضلال من المتصوفة وأهل البدع ، ومن قصر فهمهم في كتاب الله وسنة رسوله ، فأقن من سوء الفهم لا من النص ، تكلموا في أنفسهم وأرواحهم بما دل على أنهم من أجهل الناس بها ، وكيف يمكن من له أدنى مسكة من عقل أن ينكر أمرا تشهد عليه به نفسه وصفاته وأفعاله وجوارحه وأعضاؤه ؟! بل تشهد به السموات والأرض والخلقة : فله - سبحانه - في كل ماسواه آية - بل آيات - تدل على أنه مخلوق مربوب ، وأنه خالقه وربّه وبارئّه ومليكه ، ولو جحد ذلك فمعه شاهد عليه .

ونعنى بالروح الجوهر العاقل ، ومحال كثرتها ؛ لأن الواحد إنما لا يستحيل أن يثنى ، وأن ينقسم ، إذا كان ذا مقدار كالأجسام . فالجسم ينقسم لأنه ذو مقدار ، فله بعض ، فيتبع بعض . أما مالا بعض له ، ولا مقدار فكيف ينقسم ؟.

أما تقدير كثرتها بعد التعلق بالبدن محال ؛ لأنها : إما أن تكون متماثلة ، وإما مختلفة . وكل ذلك محال ، وإنما استحال التماثل ؛ لأن وجود المثليين محال فى الأصل ، ولهذا يستحيل وجود سوادين فى محل ، وجسمين فى مكان واحد . لأن الاثنينية تستدعى مغايرة ، ولا مغايرة ههنا . وسوادان فى محلين جائز ؛ لأن هذا يفارق ذلك فى المحل إذا اختص بمحل لا يختص به الآخر . وكذلك يجوز فى محل واحد فى زمانين ؛ إذ لهذا وصف ليس للآخر . وهو الاقتران بهذا الزمان الخاص .

فليس فى الوجود مثلاً مطلقاً بل بالإضافة ، كقولنا : زيد وعمرو مثلاً فى الإنسانية والجسمية ، وسواد الحبر والغراب مثلاً فى السوادية ومحال تغايرها ؛ لأن التغاير نوعان : أحدهما : باختلاف النوع والماهية : كتغاير الماء والنار ، وتغاير السواد والقلم .

والثانى : بالعوارض التى لا تدخل فى الماهية : كتغاير الماء الحار والماء البارد ؛ فإن كان تغاير الأرواح البشرية بالنوع ،

فمحال ؛ لأن الأرواح البشرية متفقة بالحد ، والحقيقة ، وهي نوع واحد . وإن كانت متغايرة بالعوارض فمحال ؛ لأن الحقيقة الواحدة إنما يتغاير عوارضها إذا كانت متعلقة بالأجسام ، منسوبة إليها بنوع . إذ الاختلاف في أجزاء الجسم ضرورة ، ولو في القرب من السماء والبعد منه مثلاً .

أما إذا لم يكن كذلك كان الاختلاف ، وهذا ربما يحتاج بحقيقة إلى مزيد تقرير . لكن هذا القدر تنبيه عليه .  
فقليل له : كيف يكون حال الأرواح بعد مفارقة الأجساد<sup>(١٠)</sup> ولا تعلق لها بالأجسام . فكيف تكثرت وتغايرت؟؟

فقال : لأنها اكتسبت بعد التعلق بالأبدان أوصافاً مختلفة في العلم ، والجهل ، والصفاء ، والكدورة ، وحسن الأخلاق وقبحها . فبقيت متغايرة ، فعقل تكثرها ، بخلاف ما قبل الأجساد فإنه لا سبب لتغايرها .

---

( ١٠ ) يقول ابن القيم :

المسألة الخامسة من كتاب الروح :

وهي أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان إذا تجردت بأى شيء يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى ؟ وهل تشكل إذا تجردت بشكل بدنها الذي كانت فيه وتلبس صورته أم كيف يكون حالها ؟ .

هذه مسألة لا تكاد تجد من تكلم فيها ، ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل

ولاسيما على أصول من يقول بأنها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص ، فهذا السؤال على أصولهم مما لاجواب لهم عنه ، وكذلك من يقول : هي عرض من أعراض البدن ، فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها ، فلا تميز لها بعد الموت ، بل لا وجود لها على أصولهم بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما تبطل سائر صفات الحى ، ولا يمكن جواب هذه المسألة إلا على أصول أهل السنة التى تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل ، والقول إنها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج وتذهب ونحوه وتتحرك وتسكن ، وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها فى كتابنا الكبير فى معرفة الروح والنفس ، وبيننا بطلان ماخالف هذا القول من وجوه كثيرة ، وإن من قال غيره لم يعرف نفسه .

وقد وصفها الله - سبحانه وتعالى - بالدخول والخروج والقبض والتوفى والرجوع وصعودها إلى السماء وفتح أبوابها لها وغلقها عنها فقال - تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وقال - تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ ارجعى إلى ربك راضية مرضية ﴾ فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴿ وهذا يقال لها عند المفارقة للجسد ، وقال - تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ فألمها فجورها وتقواها ﴿ فأخبر أنه سوى النفس ، كما أخبر أنه سوى البدن فى قوله : ﴿ الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ فهو - سبحانه - سوى نفس الإنسان كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالعقاب لنفسه ، فسوية البدن تابع لتسوية النفس ، والبدن موضوع لها كالعقاب لما هو موضوع له .

ومن هاهنا يعلم أنها تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها ، فإنها تتأثر وتتقلع عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها ، فيكتسب البدن الطيب والخبث من طيب النفس وخبثها ، وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب البدن وخبثه ، فأشد الأشياء ارتباطاً وتناسباً وتفاعلاً وتأثراً من أحدهما بالآخر الروح والبدن ، ولهذا يقال لها عند المفارقة : اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب النفس ، واخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث .

وقال الله - تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾ فوصفها بالتوفى والإمسك والإرسال كما وصفها بالدخول والخروج والرجوع والتسوية ، وقد أخبر النبى - صلى الله عليه وآله وسلم - أن بصر الميت يتبع نفسه إذا قبضت . وأخبر أن الملك يقبضها فتأخذها الملائكة من يده فيوجد لها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، أو كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض .

والأعراض لاربع لها ولا تمسك ولا تؤخذ من يد إلى يد .

وأخبر أنها تصعد إلى السماء ويصلى عليها كل ملك لله بين السماء والأرض ، وأنها تفتح لها أبواب السماء فتصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله -- عز وجل - فتوقف بين يديه ويأمر بكتابة اسمه في ديوان أهل عليين أو ديوان أهل سجين ، ثم ترد إلى الأرض ، وإن روح الكافر تطرح طرحاً وأنها تدخل مع البدن في قبرها للسؤال .

وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : بأن نسمة المؤمن وهى روحه طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله إلى جسدها .

وأخبر أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها ، وأخبر أن الروح تنعم وتعذب في البرزخ إلى يوم القيامة .

وقد أخبر - سبحانه - عن أرواح قوم فرعون أنها تعرض على النار غلواً وعشيّاً قبل يوم القيامة ، وقد أخبر - سبحانه - عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذه حياة أرواحهم ورزقها ، وإلا فالأبدان قد تمزقت ، وقد فسر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - هذه الحياة بأن أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل ، فاطلع إليهم ربهم إطلاعاً فقال : هل تشتهون شيئاً ؟ قالوا : أى شيء نشئنا ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ؟ فعل بهم ذلك ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا : نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى .

( وصح ) عنه - صلى الله عليه وآله وسلم - « أن أرواح الشهداء في طير خضر تغلق من ثمر الجنة » وتعلق - بضم اللام - أى : تأكل العلقة .

( وقال ) ابن عباس : قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : « لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلمهم وحسن مقلبهم قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا ، لئلا يزهّدوا في الجهاد ولا يئسوا عن الحرب ، فقال الله - عز وجل - : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله - تعالى - على رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ الآيات . رواه الإمام أحمد .

وهذا صريح في أكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها ، وسيأتى مزيد تقرير لذلك عن قريب إن شاء الله تعالى .

وإذا كان هذا شأن الأرواح فتميزها بعد المفارقة يكون أظهر من تميز الأبدان ، والاشتباه بينها أبعد من اشتباه الأبدان ، فإن الأبدان تشبه كثيراً ، وأما الأرواح فقل ماتشبهه .

يوضح هذا أننا لم نشاهد أبدان الأنبياء والصحابة والأئمة وهم متميزون في علمنا أظهر تميز ، وليس ذلك التميز راجعاً إلى مجرد أبدانهم وإن ذكر لنا من صفات أبدانهم ما يختص به أحدهم من الآخر ، بل التميز الذى عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات أرواحهم وما قام بها ، وتميز الروح عن الروح بصفاتها أعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته ، ألا ترى أن بدن المؤمن والكافر قد يشتهان كثيراً وبين روحيهما أعظم التباين والتميز ؟ وأنت ترى أخوين شقيقين مشتهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين ، فإذا تجردت هاتان الروحان كان تميزهما في غاية الظهور .

وأخبرك بأمر إذا تأملت أحوال الأنفس والأبدان شاهدته عياناً ؟ قل أن ترى بدناً قبيحاً وشكلاً شنيعاً إلا وجدته مركباً على نفس تشاكله وتناسبه ، وقل أن ترى آفة في بدن إلا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ، ولهذا يأخذ أصحاب الفراسة أحوال النفوس من أشكال الأبدان وأحوالها فقل أن تخطئ ذلك .

( ويحكى ) عن الشافعى - رحمه الله - في ذلك عجائب .

وقل أن ترى شكلاً حسناً . وصورة جميلة وتركيباً لطيفاً إلا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له ، هذا ما لم يعارض ذلك ما يوجب خلافه من تعلم وتدريب واعتقاد .

وإذا كانت الأرواح العلوية وهم الملائكة متميزاً بعضهم عن بعض من غير أجسام تحملهم ، وكذلك الجن ، فتميز الأرواح البشرية أولى .